حقل "المحمود في الخيل" من خلال كتاب "أوصاف الخيل " للعلامة البكري بن سيدي عبد الرحمان التنلاني (ت1339هـ) – دراسة في ضوء نظـــرية الحقول الدلالية

فاطـــمة برمـــاتي
إدريس بن خويا
جامعة أدرار

ملخص:

لقد اشتغل العلماء الجزائريون القدامى –رحمة الله عليهم– باللغة أيّما اشتغال؛ وبالأخص عند العلماء التواتيين الذين أثروا الساحة الإسلامية بمؤلفاتهم القيّمة وفي مختلف المعارف والعلوم. فنجد من بين هؤلاء اللغوي والأديب الإمام البكري عبد الرحمان التنلاني الذي سجّل حضوره وبقوة في ساحة البحث اللغوي الأصيل، وأثر تراثنا العربي والتواتي على وجه الخصوص بالعديد من المؤلفات والقصائد الشعرية .

وأن من بين مؤلفاته التي خصصناها للدراسة في هذا الجانب كتابه "أوصاف الخيل" الذي يعد عملا معجميا دلاليا رائعا بلا منازع. ولذلك حاولنا ربط ما جاء به البكري التنلاني من جهد معجمي دلالي بما أفرزته نظرية الحقول الدلالية.

وبذلك ستتناول ورقتنا القضايا الآتية:

– البكري عبد الرحمان التنلاني: حياته ومآثره.

– نظرية الحقول الدلالية: مفهومها، ومبادؤها.

– نظرية الحقول الدلالية في فكر البكري عبد الرحمان التنلاني.

–دراسة في حقل المحمود في الخيل عند البكري التنلاني

– خلاصة البحث: وتتضمن أهم النتائج المتوصل إليها.

مقدمة:

إن الحديث عن التراث اللغوي العربي يقتضي منا – على الأقل– الإشارة إلى بعض جهودهم اللغوية؛ الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية...وإذا كان الاهتمام الأول منصبا على تناول دراسة معاني الألفاظ، فقد كانت هناك قفزة مبكرة في التأليف فيما ما يسمى بمعاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، مما جعلها تتسم بالدقة والتنظيم والمنهجية والوضوح. والمعروف أن معاجم الموضوعات أو المعاني هي التي اختصت بترتيب الألفاظ في مجموعات تنضوي كل منها تحت فكرة واحدة أو محور عام يجمعها، ويفيد منها الكتاب والمنشئون والمترجمون الذين يحضرهم المعنى ويكونون في حاجة إلى لفظ يعبرون به، فتساعدهم وتيسر في البحث عن مطلبهم والحصول عليه في أسرع وقت ممكن[1].

وهي معاجم أسبق إلى الوجود أو معاصرة للمعاجم العربية المرتبة بحسب الألفاظ، وإن كانت بدايتها في شكل كتيبات صغيرة تناول كل واحد منها موضوعا من الموضوعات[2].

وكذلك فإن اللغويين العرب القدامى حينما جمعوا اللغة من مصادرها الأصلية وميزوا بين أرباب الفصاحة، وانتهوا من البحث الميداني غلبت عليهم نزعة التصنيف، والتنظيم والتبويب، أخذ كل عالم بجمع مادته في الموضوع المراد التصنيف فيه[3]؛ وهي جهود تبيّن– بلا شك – أن العرب كانوا سباقين إلى تصنيف المفردات بحسب المعاني أو الموضوعات[4].

وبدأت مرحلة التجميع للألفاظ في معاجم المعاني على شكل رسائل، جمع فيها الرواة الألفاظ التي تتمحور حول محور واحد كرسائل اللبن والمطر لأبي زيد الأنصاري، والنبات والشجر وخلق الإنسان للأصمعي (ت216هـ)، والخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت224هـ)، وهي رسائل ضمت مجموعات دلالية تعلقت بموضوع واحد، وكانت هذه الأعمال اللبنة الأساسية في وضع المعاجم العربية كما عُرفت فيما بعد[5].

وازداد انتشار هذا النوع من الرسائل المختصة في الموضع الواحد؛ فعمد البعض إلى التصنيف الصرفي في مثل المقصور والممدود لابن دريد (ت321هـ)، وبعدها رسائل البلدان والمواضع كجبال العرب لخلف الأحمر، ومنازل العرب لابن المطرّف.

ونتيجة لذلك الزخم الهائل من تلك الرسائل الدلالية ذات الموضوعات المفردة، سعى بعض اللغويين إلى ضمها في معاجم، مع الإبقاء على التصنيف الدلالي كالغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت224هـ)، وكتاب الألفاظ لابن السكيت (ت224هـ)، ومبادئ اللغة للإسكافي (ت421هـ)، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي (ت429هـ)، والمخصص لابن سيده(ت485هـ) [6].

وإذا رجعنا إلى موضوعنا وجدناه يدور حول شخصية تواتية أردنا التعريف بها وتقديمها إلى الباحثين والمتخصصين على السواء، بُغية الكشف عن ما أفرزته في هذا الجانب؛ فلها جهد دلالي شبيه بتلك الجهود – السابقة الذكر – التي اختصت بإفراد كتاب يدور حول ما يسمى بالرسائل ذات الموضوع الواحد؛ أي كتاب "شرح أوصاف الخيل" لصاحبه العلامة الجليل الأديب الشيخ البكري بن عبد الرحمان التنلاني.

عصر العلامة الشيخ سيدي البكري وحياته:

ــ الجانب الثقافي والعلمي: وُجِد في هذا العصر علماء في مختلف الاختصاصات مما أثّر إيجابا في بعث وإحياء الحركة الثقافية والعلمية في إقليم توات، وعلى الرغم من بعدها عن العمران الحضاري إلا أنها لم تكن معزولة عن العالم؛ ففي الوقت الذي كان فيه العالم العربي يعرف نهضة أدبية وعلمية على يد البارودي وشوقي، فإن توات كانت تزخر هي الأخرى بالشعراء والأدباء[7]، يقول أحمد جعفري :"...ويعتبر القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي العصر الذهبي في تاريخ المنطقة (الإقليم) بالنظر للعدد الهائل من العلماء الذين نبغوا فيه"[8].

كما نجد التواتيين قد اهتموا كثيرا بالأدب في شقيه الشعري، والنثري؛ فقد استخدموه في مختلف المناسبات وفي شتى الأغراض إلا أن هذا التراث الكبير ضاع منه الكثير بسبب عوامل عدة: منها الاستدمار الفرنسي، وكذا عوامل الدهر، وعدم الاهتمام، وما بقي منه مازال حبيس المكتبات الأثرية والخزائن.

وما زاد الحركة الأدبية والثقافية توقدا بتمنطيط بشكل خاص هو بناء الزاوية البكرية في القرن الثاني عشر الهجري[9]، وفي هذه الزاوية وتلك الظروف ظهر الشاعر الشيخ سيدي البكري الذي شغل الناس في وقته بإبداعاته التي فاقت حدود المنطقة لأنها كادت تلم بأحداث العصر من الجزائر شمالا إلى المملكة المغربية غربا.

ـ حياته:

ـ **نسبه ومولده:** هو البكري بن عبد الرحمان بن الطيب بن أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد وقيل بن معروف[10] بن أحمد بن يوسف التنلاني نسبا البكروي منشأ، وكما رأينا فقد اختلف في جده الخامس، ويرتفع نسب والده إلى الشيخ سيد أحمد المليانى، ونسب أمه إلى الإمام إدريس بن عبد الله الكامل.

ولد سيدي البكري في سنة 1261هـ ـ 1845م بزاوية سيدي البكري، وسمي البكري تبركا بأحد أجداده الذي سمي على اسم عالم مصري كان قد التقاه والده (أي والد الجد) أثناء طوافه بحثا عن العلم فسمى ابنه عليه[11].

حفظ القرآن الكريم على يد والده وهو طفل صغير، ثم انتقل إلى مدرسة شيخه سيدي الحسين بن سعيد ـ وهو خاله ـ فأخذ عنه الفقه واللغة والآداب والتفسير والحديث[12]، وتربى الشيخ سيدي البكري في حضرة عالم مشهور في ذلك العصر، فنما فرعا من فروع تلك الدوحة البكرية التي أنجت فطاحل في مختلف العلوم.

ثم انتقل إلى بلدة كالي بأولاد سعيد بتيميمون وقام هناك على تدريس الصبيان القرآن الكريم، وصلى بالناس إماما، وذلك بطلب من شيخ الزاوية سيدي مولاي عبد العالي الشهير بـ(مولاي عبد الحاكم) وكان ينوي الذهاب إلى الزيتونة بتونس ولكن تعذّر عليه الأمر[13]، وبعد التحاق شيخه وخاله سيدي الحسين بن سعيد بالرفيق الأعلى عاد أدراجه إلى زاوية سيدي البكري ليقوم مقام شيخه، ولازال بها حتى وفته المنية بمسقط رأسه طلوع فجر الأربعاء أوائل جمادى الأولى عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وألف 1339هـ ـ 1921م. [14]

إن الشيخ سيدي البكري لم يكن في حياته مقتصرا على التدريس والإمامة فحسب بل كان رجل اجتماع، فقد فتح الله عليه من علوم الدنيا والدين؛ فهو كاتب المراسلات الاجتماعية والسياسية، وإلى جانب هذا فهو يمتاز بجمال الخط وروعته، كما كان هو الشاعر في المناسبات، والمفتي في بعض الحالات، والقاضي في فض بعض النزاعات.

والشيء الذي أهله لهذه المكانة في المجتمع التواتي آنذاك هو براعته في اللغة العربية وذكاؤه المتوقد وحضور بداهة؛ فقد يجيب في كثير من الأحيان على البداهة، قال عنه الشيخ سيدي مولاي علي القريشي[15]: « من كان معه ورقة فيها كلام الشيخ سيدي البكري فليحتفظ بها، فقد يأتي زمان لا تجدون كلامه حتى في القاموس » فهذه شهادة له في اللغة، وقال عنه الشيخ الحاج عبد الرحمان السكوتي القبلاوي المولود بساهل

(1285هـ ــ 1332هـ) : « إن سر هذا الرجل في قلمه »[16]. فلقد كان خطاطا ينسخ العديد من الكراريس وبسرعة فائقة، ويتميز بخطه الجميل المعروف عند أهل العلم بالمنطقة التواتية[17].

مؤلفاته:

لقد تنوعت موهبة سيدي البكري بن عبد الرحمن بين الشعر والنثر فقد كتب أشعارا في مختلف الأغراض وعلى مختلف الأوزان والبحور الشعرية، كما له منظومات في النحو والفقه والتوحيد وفي علم الفرائض (الميراث) وغير ذلك، كما له عدة رسائل نثرية منها الإخوانية واللغوية. منها[18]:

-منظومة ذات فصول سماها المعيار في ذم الاستقصاء للنظار.

- مكاتبة منه لبعض الأحبة تشتمل على نصائح وإرشادات، وله مكاتبات أخرى.

- أرجوزة طويلة تشتمل على ثلاثة فنون؛ التوحيد والفقه والتصوف، وفي كل فن من هذه الفنون منها فصول.

- ما يفوق ثلاثين قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

- له سؤال منظوم يقول عنه أنه لم يحظ بجوابه حتى الآن.

- له منظومة على البادسية قرظها بها عندما قرأها.

- له منظومة في الشاي، وتشتمل على فصول كالمرشد المعين ذكر فيها فرائضه وسننه ومبطلاته، والمضار التي يزيلها.

- قصائد في مدح آل البيت ومدح الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني والشيخ محمد البكري بن سيدي عبد الكريم، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وشرفاء تردانت...

- نبذة في علم الميراث مختصرة وواضحة.

- العديد من المقطوعات الشعرية في الشاي وقصائد أخرى كذلك.

- قصائد يرد بها على أعدائه وحساده.

- جواب على سؤال إمام الحرمين الذي بعث به إلى علماء المشارقة والمغاربة يختبرهم فيه، سماه: اختبار كل عارف من أنباء المعارف.

- منظومة في أوصاف الخيل.

- وله منظومة في أحوال الإشارة[19].

وإذا عدنا إلى التراث اللغوي العربي، وبالضبط في الرسائل ذات الموضوع الواحد التي تحدثت فيما يسمى بـــ "الخيل" نجدها تفوق الخمسين، وهي[20]:

1- الفروسية والخيل، لمحمد بن أبي حزام (حوالي 246هـــ.

2- الخيل، للأصمعي (عبد الملك بن قريب المتوفى 216هـــ).

3- الخيل، لأبي عبيدة معمر بن المثني " المتوفى 224 ".

4- أسماء خيل العرب وفرسانها، لابن الأعرابي (محمد بن زياد/ المتوفى 231هـــ).

5- أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، لابن الكلبي (هشام بن محمد المتوفى 204هـــ).

6- فضل الخيل، لابن دريد (محمد بن الحسن/ المتوفى 321هـــ).

7- أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، للغندجاني الأعرابي الحسن بن أحمد (المتوفى بعد 430هـــ).

8- حلية الفرسان وشعار الشجعان، لابن هذيل (عليّ بن عبد الرحمن الأندلسي/ القرن الثامن الهجري).

9- فضل الخيل للحافظ الدمياطي (شرف الدين عبد المؤمن المتوفى 705هـــ).

10- رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد، للبخشي (محمد البخشي الحلبي المتوفى 1098هـــ).

11- قطر السيل في أمر الخيل، للبلقيني (عمرو بن رسلان بن نصر المتوفى سنة 805هـــ).

12- الحلية في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام، للصاحبي التاجي (محمد بن كامل المتوفى 697هـــ)..

13- الفروسية وعلاج الخيل، لبدر الدين البكتوت الرماح الخازنداري نائب (المتوفى 711هـــ).

14- الفروسية، لابن قيم الجوزية.

15- كتاب الفروسية للأشميطي.

16- مجرى السوابق، لابن حجة الحموي (المتوفى 837هـــ).

17- فوائد النيل بفضائل الخيل، للشيخ على بن عبد القادر ابن محمد الطبري المكي (المتوفى 1070هـــ).

18- إسبال الذيل في ذكر جياد الخيل، الرملي (القرن الحادي عشر الهجري).
19- كتاب الجهاد والفروسية وفنون الآداب العسكرية، لطيبوغا الأشرفي البكلميشي الرومي (المتوفى 770هـ/ 1386 م).
20- الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل، وكان هلال ناجي قد حققه ونشره تحت عنوان (الخيول اليمنية في المملكة الرسولية)، تصنيف ملك اليمن المجاهد علي بن داود الرسول الغساني (المتوفى 764هـ).
21- خلق الفرس، للأصمعي.
22- السرج واللجام، للأصمعي.
23- كتاب الخيل، لمحمد بن رضوان النمري (المتوفى 657هـ).
24- دعاء وحرز الخيل، لأبي العلاء المعري (المتوفى 449).
25- كتاب خلق الفرس، ليوسف بن عبد الله الزجاجي (المتوفى 415هـ).
26- كتاب الخيل، لأبي علي القالي.
27- كتاب الخيل، لإبراهيم بن محمد سعداني (معجم الأدباء. ج1، ص 287).
28- كتاب الخيل والبيطرة، ليعقوب بن إسحق الكندي (تاريخ القفطي).
29- كتاب الخيل، لأبي قلحم محمد بن سعد الشيباني.
30- الخيل وسبقها، وأنسابها، وشياتها، وعيوبها، وإضمارها، ومن نسب إلى فرسه، لعبد الله بن محمد التوزي.
31- الخيل، لأبي نصر أحمد بن هاشم.
32- الخيل، لمحمد بن عبد الله العتيبي .
33- صفة الفرس، لعلي بن عبيدة الريحاني .
34- جر الذيل في علم الخيل، للسيوطي.
35- كتاب خلق الفرس، لحسن بن عبد الله لغدة (معاصر للزجاج).
36- كتاب الخيل، لأحمد بن أبي عبد الله الكوفي البرقي.
37- خلق الفرس، لثابت بن أبي ثابت.
38- كتاب الخيل والصغير والخيل الكبير، لأبي بكر بن دريد .
39- كتاب خلق الفرس، لمحمد بن الوشاء .
40- كتاب الخيل، لعبد الله بن محمد العباسي الزيدي .
41- أنساب الخيل، لأبي عبيد الله القاسم بن سلام .

42- الخيل، لابن قتيبة.
43- كتاب الخيل والسوابق، لابن مهرويه.
44- كتاب الخيل، لمحمد بن حبيب (المتوفى 245هـ).
45- كتاب الخيل، لعمرو بن إسحاق بن مرار الشيباني.
46- خلق الفرس، لابن ثروان العكلي.
47- كتاب الخيل، للعباس بن الفرج الرياشي .
48- الخيل الكبير، لأحمد بن أبي طاهر .
49- سهيل في ذكر الخيل، لعثمان بن عبد الله الحنبلي الحنفي، ابن بشر النجدي.
50- كتاب الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال، لأبي عبد الله بن محمد بن رضوان بن أرقم النميري الوادي أشي (المتوفى 657هـ).
51- خلق الفرس أو الخيل، للنضر بن شميل (المتوفى204هـ).
52- الخيل، لقطرب (المتوفى 206هـ).

53- كتاب الخيل، لعبد الله بن جزي.
54- في الخيل، للبلقيني (المتوفى 805هـ).
55- أسماء خيل العرب وفرسانها، للجواليقي.
56- نسب الخيل، لمحمد بن صالح مولى جعفر بن سليمان.

ويأتي في ذيل هذه الكتب القديمة على اختلاف عددها، وفي القرن 14هـ قصيدة في أوصاف الخيل للعلامة البكري لا تتعدى 34 بيتا. التي نظمها خاصة من أجل زوجته، يقول في مطلعها:

فإن تسألي عني وما كان سانحا *** بفكري فألقي السمع ياربو الخبا
ترينـــي يا أم البنيـــن محـــدثا *** بغير قـــراع الـــدار عين الكتائبا

ويختمها بقوله:

فإن تعـــذلي أم البنيـــن وتعتـــبـــي *** محمدا البكـــري يوما إذا كبا
فإن الخطوب سحب صيف ستنجلي *** ويعقب يسر الله ممتهن الصعبا

ثم جاء بعدها مباشرة شرحا مطولا للقصيدة في مخطوط، وفي نسختين؛ جاءت النسخة الأولى في تسع صفحات، والثانية تتكون من ست عشرة صفحة[21] لاحتوائها شرحا مطولا أضافه البكري لزيادة في توضيح ما قصر فهمه وأشكل بيانه. افتتح الشيخ هذا الشرح بقوله: "الحمد لله الذي خلق في الخيول الخيولاء، وخول بخيرها خاصة الفضلاء وفخمها واختارها للنبلاء، وزين اقتناء الجياد زينة القلائد في الأجياد"[22].

وعلى الرغم من المؤلفات الكبيرة التي ألفها، وخصوصا المؤلَّف الذي نحن بصدد دراسته نجده يتواضع في تأليفه، حيث يقول: "وربما ظن السامع المؤلِّف قد اقتحم العقبات إلى العلم والتقوى والفوز بالطلبات، وليس كذلك بل هو أعظم الناس جهلا وهفوات وأجناهم على نفسه ظلما وعدوانا، إلا أن يأخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم"[23].

ومن مزايا هذا الشرح:

-تفرده في موضوعه وخصوصا في ذلك العصر.

-استعماله الأساليب البلاغية نظما وشرحا.

-اختياره للأسلوب البسيط والألفاظ السهلة أثناء الشرح.

-اختصاره في الشرح والابتعاد عن الإطناب.

-جمعه بين النظم والشرح في آن واحد.

-استعماله للإعراب من حين إلى حين.

-يعتبر النظم من أنفس ما جاد به التراث اللغوي العربي.

-تنبئ هذه المنظومة على مكانة وعبقرية المؤلِّف ومستواه اللغوي والأدبي الذي وُصف من قبل من طرف علماء أجلاء أيّما وصف.

العلامة البكري يجيبنا عن السبب في وضع الشرح لتلك المنظومة، الذي كان طلبا من طرف بعض القراء، حيث يقول:" فلما نظمت قصيدة في أوصاف الخيل الجياد، طلب مني بعض السادات الأمجاد أن أجعل عليها شرحا يحل مقفلها، ويبين مشكلها، ويفصل مجملها، ويسهل معقلها، ويفتض بكرتها، ويفتق زهرها، وينشر نشرها؛ لأنها كانت أمنع من عقاب الجو، وأصعب من صعود مصدر النو لأنها تنبو عن أفهام الجم الغفير من أبناء الزمان لما احتوت عليه من لغات العرب ذوي اللسان"[24].

ثم يكشف مرة ثانية عن طريق عمله في الشرح بعد تلبيته للدعوة بقوله:" ولبيت دعوة القائل، سالكا في ذلك مسلك الموجزين، من الشارحين الممزجين؛ لأن المزج أقرب إلى الأفهام، وأعون على فهم أسرار الكلام"[25].

إن هذا الجهد اللغوي والدلالي للشيخ البكري ما هو إلا تصنيفا للغة حسب المعاني أو الموضوعات، الذي ينِم – بلا شك– عن مسؤوليته العلمية تجاه اللغة العربية والأجيال التي يتعلمونها ويعلمونها، فأسهم بدوره بالقدر الذي يغني الثقافة العربية ولغتها، وبناء حضارتها المتميزة ومشاركا بحبة حصاة في الصرح الحضاري الإسلامي[26].

فهذه الرسالة يمكنها أن تصنف في إطار نظرية الحقول الدلالية التي تسهم في تحديد الدلالة وعناصرها بطريقة محكمة وموضوعية في دراستها للكلمات، أو الألفاظ في إطار عائلة لغوية؛ أي أن الكلمات لا تشكل وحدة مستقلة، ولا معنى لها بمفردها، ولكنها تكتسب معناها في علاقتها بالكلمات الأخرى. وأن معنى الكلمة أو تلك لا يتحدد إلا بمجيئها مع أقرب الكلمات التي إليها في إطار مجموعة واحدة"[27].

فالحقول الدلالية تقوم على فكرة المفاهيم العامة التي تؤلف بين مفردات لغة ما بشكل منتظم يساير المعرفة والخبرة البشرية المحددة للروابط أو الصلة الدلالية بين الكلمات، وبالتالي فأن معنى الكلمة كما يرى جون ليونز John Lyons "هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي"[28]. وهدف التحليل للحقول الدلالية هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلا معينا، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام[29]. فاللغويون والدلاليون ينتهون عادة في النظام اللغوي إلى أبنية خاصة تمثّلها جذور الكلمات وصيغ تصريفها، وحركات إعرابها، وحقول دلالية تساعد على تناول المعاني المختلفة في مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالتها ضمن مفهوم محدد، أو أي قطاع من المادة اللغوية تعبّر عن مجال معيّن من الاختصاص[30].

فالتواتي البكري أبدع وتفنن في هذا الجانب، وكغيره من القدماء الذين أبدعوا في مجال اللغة والتصنيف وَفق الحقول الدلالية؛ "فكانت لهم الرسائل التي مهدت للتأليف المعجمي الشامل، وعلى الرغم من تميزها فإنه لا يشك أحد من الدارسين في أن العرب لم يقلِّدوا فيها غيرهم، وكانت من إبداعهم خاصة إذا علمنا أن

هذا النوع من التأليف لم تعرفه الأمة اليونانية والرومانية، ولم تشهد مثيله أوربا إلاّ في الفترات المتأخرة"[31].

وإذا أخذنا بعض النماذج التي يمكننا دراستها وَفق نظرية الحقول الدلالية، نجد أن العلامة البكري حينما يورد لنا أوصاف الخيل يمكننا أن نستخرج منها العديد من حقول الدلالية، ولكن هناك حقل أكبر وبارز يمكننا أن تعامل معه دلاليا، ألا وهو حقل "المحمود من الخيل" كما وصفه البكري بنفسه، وينقسم إلى أربعة أقسام، هي: الطويل، والقصير، والرحب، والصافي. وكل من هذه الأقسام يتفرع إلى ثلاثة أقسام أخرى. حيث يقول في هذا الشأن: "ولما كان محمودا في الخيل الطويل الثلاث، القصير الثلاث، الرحب الثلاث، الصافي الثلاث أشرت إليه بقولي (طويل التليل)؛ أي العنق، (والذراع وأذنه) معروفان، (قصير العسيب) منبت الذنب من الجلد، (والمطي) أي الظهر، (الرسغ)[32] بحذف حرف العطف معروف (محربا) حال من الفرس(رحيب)؛ أي واسع (مناخر) جمع منخر وهو الأنف(وجوف وجبهة وصافي الأديم)؛ أي الجلد، (العين) بحذف الواو العاطفة؛ أي والعين. (الحافر إعربا)؛ أي أعرب عن وصفه، والألف منقبة عن نون التوكيد الخفيفة. والحاصل ينبغي أن يكون الفرس طويل العنق والذراع والأذن، وقصير العسيب والظهر والرسغ، وواسع المنخر والجوف والجبهة، وصافي الجلد والعين والحافر، وقد فصلت فمنحاها زيادة بيان"[33].

وذلك حينما جمع هذه الأوصاف في بيتين، حيث قال:

طويل التليل والذراع وأذنه *** قصير العسيب والمطى الرسغ محربا.

رحيب مناخر وجوف وجبهة *** وصافي الأديم العين والحافر أعربا

وبالتالي هناك حقلان دلاليان:

الأول: وهو حقل رئيسي خاص بالمحمود من الخيل.

الثاني: وهو حقل فرعي يتمثل في القصير والطويل والرحب والصافي.

ويمكننا تشذيرهما بالشكل الآتي:

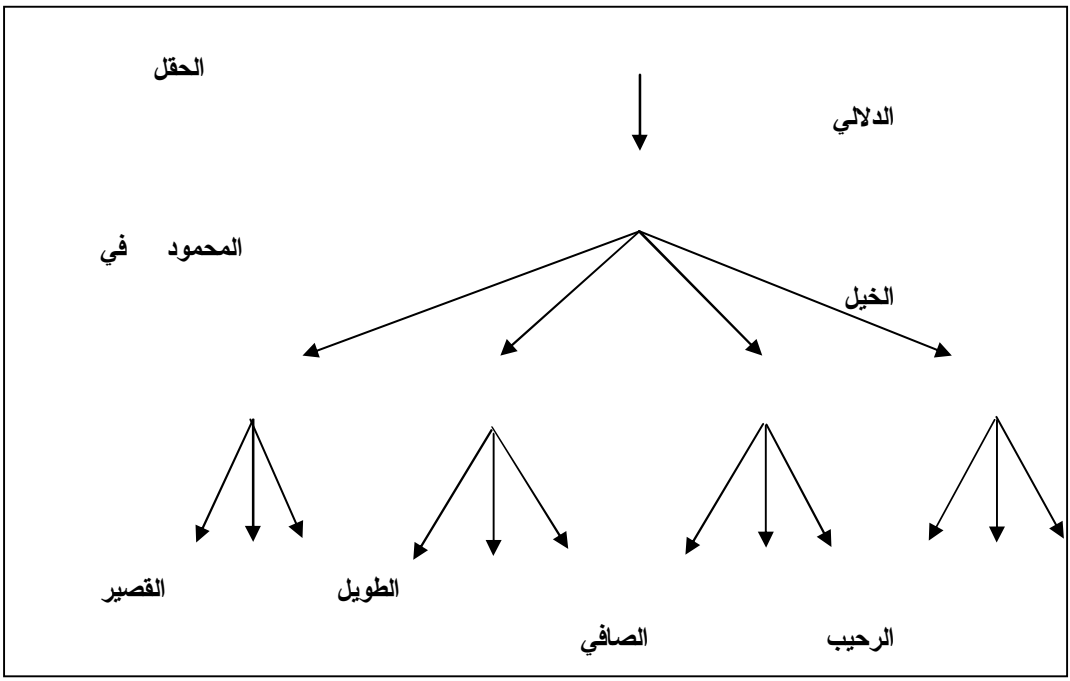

التليل الذراع الأذن
العسيب الظهر الرسغ المنخر الجوف الجبهة الأديم العين
الحافر

تطبيق العلاقات الدلالية داخل حقل المحمود في الخيل:

وقبل تطبيقنا للعلاقات الخمس داخل الحقل لا بد من نشير إلى مضمونها، وهي كالآتي[34]:

-الترادف: وهي تضمن جانبين، فإذا كان (أ) مرادفا لـــ (ب) فهذا يعني أن (أ) يتضمن (ب) وهذا ما ينعت بالترادف التام.

-الاشتمال: وهو تضمن من طرف واحد، فيكون (أ) مشتمل على (ب) حين يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفريعي.

-علاقة الجزء بالكل: كمثل نافذة المنزل، وحاجب العين.

-التضاد: وهو في مثل العلاقة بين الرجل والمرأة؛ وهو التضاد الحاد. وأما المنعكس كمثل العلاقة بين لفظتي باع واشترى، والتضاد الاتجاهي كمثل أسفل وأعلى.
-التنافر: وهو عدم التضمن من الطرفين؛ أي أن (أ) لا يشتمل على (ب)، و(ب) لا يشتمل على (أ).

وعندنا قراءتنا للألفاظ الموجودة داخل حقل المحمود في الخيل وَفق العلاقات الدلالية وجدنا أن هذه العلاقات -تقريبا- مجسدة بنسب متفاوتة؛ فمن حيث علاقة التضاد على سبيل الذكر لا الحصر نجد ذلك مجسدا في مابين الطول والقصر؛ كطويل التليل (العنق) وقصير الظهر، فهو تضاد متدرج؛ فكأن مازاد في عنقه نقص من ظهره.

كما أن علاقة الاشتمال نجدها بين العسيب والأديم؛ بحيث إن هذا الأخير يشتمل على العسيب الذي هو الذنب من الجلد.

في حين أن علاقة التنافر واردة بكثرة في هذا الحقل؛ كالحاصل بين الذراع والجوف، والرسغ والعين، والظهر والحافر، وأن ورود هذه العلاقة بكثرة لأمر جلي، وهو أن أعضاء جسم الفرس قد يكون كلاً مستقلاً بذاته. بينما لا توجد علاقة ترادف بين هذه الألفاظ لأجل التباعد بين معاني الألفاظ، ولحصر المعنى الدقيق في الصفة الواحدة للخيل، وإذا كان الترادف موجودا في هذا الحقل لصعب علينا تمييز الصفات عن بعضها البعض.

وبالتالي فإن كثرة علاقة التضاد في هذا الحقل دليل على تنبيه العلامة البكري على الصفات الواجب توفرها في الخيل المحمودة، ولذلك حاول أن يوصفها بهذا النهج باعتبار أن الأمور تُعرف بأضدادها.

وإن كنا صنفنا الحقل الدلالي للمحمود في الخيل بهذه الشاكلة، إسقاط هذه القراء التحليلية الموجزة والبسيطة، فهذا راجع إلى الصعوبة "التي تواجه الباحث اللساني حينما يعمد إلى تبني منوال الحقول الدلالية، وتتمثل في كيفية تحديد الحقول التي تكوّن النظام اللساني، وكيفية حصر الوحدات الأساسية التي تكوّن الحقل المراد دراسته، وهو الأمر الذي جعل طريقة التناول تختلف من باحث لساني إلى آخر"[35].

خلاصة:

– وما يمكننا القول، إن عمل القدامي في مجال الحقول المعجمية لهو عمل جبار يحتاج إلى مزيد من البحث والتعمق فيه، وأن ما قدموه في هذا الجانب لهو سابق منذ قرون عما قدمه الغربيون في طرحهم لنظرية الحقول الدلالية.

– إنّ ما قدمه البكري التتلاني يعد عملا رائعا بامتياز؛ خصوصا وأنه يصنف ضمن تأليفات القدامى للرسائل المعجمية، أو رسائل الموضوعات التي تختص بدراسة جزئية معينة تسّهل عل القارئ أو الباحث الوصول إلى معنى الألفاظ بطرقٍ يسيرة.

– إن منظومة البكري وشرحه لهو عمل فريد من نوعه في أوصاف الخيل الجياد، وهو شرح يحتاج إلى مزيد من التحقيق والدراسة، خاصة إذا قارب فيه المحقق المتخصص هذا الشرح مع تلك الكتب التي أُفرِدت في مصنف واحد فقط؛ مثل كتاب الخيل للأصمعي، والخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما كثير.

– إن كثرة علاقة التضاد في هذا الحقل دليل على تنبيه العلامة البكري على الصفات الواجب توفرها في الخيل المحمودة. بينما نجد أن علاقة التنافر واردة بكثرة في هذا الحقل، وأن ورود هذه العلاقة بكثرة لأمر جلي، وهو أن أعضاء جسم الفرس قد يكون كلاً مستقلاً بذاته.

مصادر ومراجع البحث:

- أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، د.أحمد عزوز، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.
- بناء القصيدة الشعرية عند الشاعر سيدي البكري بن عبد الرحمان، أ.عبد القادر بقادر، بحث غير منشور.
- جذور نظرية الحقول الدلالية في التراث اللغوي العربي، د.أحمد عزوز، مجلة التراث العربي–مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب–دمشق، العدد 85.
- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1996.
- مباحث في اللسانيات، د.أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1999.
- المباحث الفكرية على شرح الأرجوزة البكرية، الشيخ محمد باي بلعالم، د ط، مطابع عمار قرفي باتنة الجزائر، ص: 07.
- محمد بن أبا المزمري، د.أحمد أبا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي، ط01، 2004م.
- المصادر اللغوية والأدبية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، دار النهضة العربية للطبعة والنشر، بيروت.
- المخطوطات اللغوية وأعلامها في الخزائن والمكتبات التواتية من القرن 10هـ إلى نهاية القرن 14هـ–دراسة بيبليوغرافيا في الموضوعات والأعلام، د.أحمد جعفري، بحث مقدم في الملتقى الدولي حول إسهامات علماء المغاربة في خدمة اللغة العربية وترقيتها–جامعة وهران، أيام 28/27/26 أكتوبر2009.
- النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14 الهجري، عبد الحميد بكري، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط: 2005 م.
- نبذة تاريخية عن أحد أعلام الزاوية البكرية، للأستاذ عبد القادر بن الوليد. بحث غير منشور.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998 .
- علم الدلالة دراسة وتطبيق، نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

– فقه اللغة وخصائص العربي، محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 1971.
– التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ الى القرن 14هـ / 17م إلى 20م، الحاج أحمد الصديق، مديرية الثقافة لولاية أدرار ، ط:01، 2003.
– الخيل في المكتبة العربية، عادل محمد علي الشيخ حسين،مجلة عالم الكتب، العدد الأول والثاني (عدد مزدوج)، المجلد الثالث والعشرون، رجب – شعبان / رمضان – شوال 1422هـ، أكتوبر – نوفمبر / ديسمبر 2001م – يناير2002من موقع www.alukah.net/articles/7/2011.aspx بتاريخ 2009/09/22.
– شفاء القلب العليل بتحقيق شرح منظومة البكري على أوصاف الخيل للمؤلف الشيخ محمد البكري بن محمد بن عبد الرحمان، تحقيق وتحليل:محمد سالم بن عبد الكريم، دار الكتاب العربي، 2006.

---

[1] – ينظر جذور نظرية الحقول الدلالية في التراث اللغوي العربي، د.أحمد عزوز، مجلة التراث العربي–مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب–دمشق، العدد 85.

[2] – ينظر فقه اللغة وخصائص العربي، محمد المبارك، ص154، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 1971.

[3] – ينظر المصادر اللغوية والأدبية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، ص295، دار النهضة العربية للطبعة والنشر، بيروت.

[4] – ينظر أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، د.أحمد عزوز، ص22، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.

[5] – ينظر المرجع نفسه، ص22–23.

[6] – ينظر المرجع نفسه، ص23–25.

[7] – ينظر بناء القصيدة الشعرية عند الشاعر سيدي البكري بن عبد الرحمان، أ.عبد القادر بقادر، بحث غير منشور.

[8] – محمد بن أبا المزمري، د.أحمد أبا الصافي جعفري، ص: 32، ، دار الكتاب العربي، ط01، 2004م.

[9] – نفسه، ص94.

[10] – حسب رواية الأستاذ ابن الوليد عبد القادر، صاحب خزانة با عبد الله، وينظر المباحث الفكرية على شرح الأرجوزة البكرية، الشيخ محمد باي بلعالم، د ط، مطابع عمار قرفي باتنة الجزائر، ص: 07.

[11] – ينظر الشيخ باي بلعالم، ص: 08، مع خطأ ورد من الشيخ باي في هذا النسب والذي صححناه من عند أحد أحفاد الشاعر سيدي البكري وهو بكراوي عبد الله، ينظر بناء القصيدة الشعرية عند الشاعر سيدي البكري بن عبد الرحمان، أ.عبد القادر بقادر.

[12] – ينظر النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14 الهجري، عبد الحميد بكري، ص:86، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط: 2005 م. و التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ الى القرن 14هـ / 17م إلى 20م، الحاج أحمد الصديق، ص: 108، مديرية الثقافة لولاية أدرار ، ط:01، 2003.

[13] – بحسب رواية الأستاذ عبد القادر بن الوليد..

[14] – بحسب رواية السيد الحاج عبد الله بن سيدي عبد السلام بكراوي، وهو أحد أحفاد سيدي البكري بن عبد الرحمان.

[15] – وهو أحد أعيان البلد في أولاد إبراهيم..

[16] – رواية عن الحاج محمد بكراوي صاحب الخزانة البكرية بزاوية سيدي البكري..، ينظر بناء القصيدة الشعرية عند الشاعر سيدي البكري بن عبد الرحمان، عبد القادر بقادر.

[17] – نبذة تاريخية عن أحد أعلام الزاوية البكرية، للأستاذ عبد القادر بن الوليد.

[18] – شفاء القلب العليل بتحقيق شرح منظومة البكري على أوصاف الخيل للمؤلف الشيخ محمد البكري بن محمد بن عبد الرحمان، تحقيق وتحليل:محمد سالم بن عبد الكريم، ص44–45، دار الكتاب العربي، 2006.

[19] – المخطوطات اللغوية وأعلامها في الخزائن والمكتبات التواتية من القرن 10هـ إلى نهاية القرن 14هـ–دراسة بيبليوغرافيا في الموضوعات والأعلام، د.أحمد جعفري، بحث مقدم في الملتقى الدولي حول إسهامات علماء المغاربة في خدمة اللغة العربية وترقيتها–جامعة وهران، أيام 28/27/26 أكتوبر 2009.

[20] – ينظر الخيل في المكتبة العربية، عادل محمد علي الشيخ حسين،مجلة عالم الكتب، العدد الأول والثاني (عدد مزدوج)، المجلد الثالث والعشرون، رجب – شعبان / رمضان – شوال 1422هـ، أكتوبر – نوفمبر / ديسمبر 2001م – يناير2002من موقع www.alukah.net/articles/7/2011.aspx بتاريخ 2009/09/22.

[21] – ينظر شفاء القلب العليل، ص59–63.

[22] – ينظر المصدر نفسه، ص63.

[23] – المصدر نفسه ، ص76.

[24] – ينظر المصدر نفسه، ص70.

[25] – ينظر المصدر نفسه، ص78.

[26] – ينظر جذور نظرية الحقول الدلالية في التراث اللغوي العربي، د.أحمد عزوز.

[27] – ينظر المرجع نفسه.

[28] – علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص80، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998 .

[29] – المرجع نفسه، ص80.

[30] – ينظر المرجع نفسه، ص79–80، ومبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص302، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1996.

[31] – أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص36–37.

[32] – الرسغ: من الدواب بسكون السين وضمها هو الموضع المستدق الذي بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل.

[33] – شفاء القلب العليل، ص111.

[34] – شفاء القلب العليل، ص111.

[35] – ينظر علم الدلالة دراسة وتطبيق، نور الهدى لوشن، ص117–118.